

Section: Social Science

الادارة الروسية للازمة السورية  
(Russian administration of the Syrian crisis)

ا.م.د. نادية ضياء شكاره\*  
Dr. Nadia Dhia Shkara

المقدمة

شهدت الساحة السورية في مطلع العام 2011 حركة احتجاجية شملت العديد من المدن نتيجة تراكمات سلبية سياسية واقتصادية وثقافية كان لها اثر كبير في استمرارها وتأجيجها، تأتي في مقدمتها الانتشار الكبير للبطالة وقلة فرص العمل نتيجة الفساد الاداري وتعدد مراكز القوى والسياسات الاقتصادية الخاطئة، وانتشار العشوائيات في معظم المحافظات السورية وسوء الخدمات، مما ادى الى تأثر ابناء الشعب السوري بما سمي بثورات ( الربيع العربي ) والتي بدأت في تونس لتنتشر في مصر وليبيا واليمن يضاف الى ذلك المواقف العربية والغربية التي زادت من خطورة الازمة وتصاعدها والتي انقسمت الى فريقين الاول يطالب بتنحي الرئيس السوري بشار الاسد عن الحكم باستخدام مختلف الاسلحة العسكرية والاقتصادية للإطاحة به، وهو يضم المملكة العربية السعودية وقطر وتركيا فضلا عن الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وبريطانيا، وعلى الجانب الآخر فريق يؤيد ويدعم وجود هذا النظام واستمراره خدمة لمصالحه وعلاقته الاستراتيجية مع سوريا، متمثلا بروسيا الاتحادية ورئيسها بوتين الذي كان يسعى الى تغيير مراكز القوة في العالم، والذي نجح في تغيير مسار الازمة لصالح الحكومة السورية ورئيسها بشار الاسد.

لذا نحاول من خلال هذا البحث الاجابة على التساؤلات التالية :

- ما هي الجذور التاريخية للعلاقات الروسية – السورية .
- ما هي اهداف الادارة الروسية الرامية لتحقيقها من خلال هذه الازمة ؟؟ .. وما هي ادواتها؟؟...
- هل جسدت الازمة السورية فرصة سانحة لروسيا الاتحادية للعودة الى الساحة الدولية كدولة محورية مؤثرة قادرة على تغيير نظام القطر الواحد وتحويله الى نظام متعدد الاقطاب؟؟
- اسئلة نحاول الاجابة عليها من خلال المحاور التالية :

المبحث الاول – مدخل تاريخي الى العلاقات الروسية – السورية

اولا – ايام العهد القيصري

تعود الجذور التاريخية للاهتمام الروسي ( القيصري – السوفيتي – الروسي الاتحادي ) بسوريا الى ايام العهد القيصري ورغبته الجامعة في مد نفوذه الى المياه الدافئة، لتأمين طريق الهند والطريق الى افريقيا وثروتها، ومع اهمية المنطقة العربية فان العلاقة بين الروس والعرب اقتصر على المجال الثقافي المتمثل برحلات الحج للمسلمين والمسيحيين الى الاماكن المقدسة في فلسطين والجزيرة العربية، وشكلت مدن اللاذقية وحلب قبلة انظار الروس منذ عام 1830 فتم انشاء عشرات المدارس الدينية الارثوذكسية برعاية من الجانب الروسي، فضلا عن افتتاح القنصلية الروسية في دمشق اواخر القرن الثامن عشر التي شكل افتتاحها انطلاقة للعلاقات الرسمية بين روسيا وسوريا وبعد مرور مائة عام قامت روسيا بفتح قنصلية لها في ميناء اللاذقية(1).

وبعد انهيار الحكم القيصري في روسيا واندلاع ثورة البلاشفا عام 1917م وظهور ما يعرف بالاتحاد السوفيتي، تبني سياسة خارجية تقوم على العزلة الدفاعية وعدم الاشتراك في فعاليات خارجية تشغل الدولة عن نشاطها وخطتها الداخلية . وقد تزامن ذلك مع خضوع اغلب الدول العربية للاستعمار الغربي الذي كان يسيطر على ادارة شؤون الدولة الداخلية والخارجية، الامر الذي انعكس سلبا على العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وهذه الدول .

وعمل الاتحاد السوفيتي على اثناء كل المعاهدات السرية حول تقسيم الدول العربية التي ابرمت بين روسيا القيصريه وبقية الدول الغربية الاخرى خاصة بريطانيا وفرنسا ( اتفاقية سايبكس التي وقعها روسيا مع فرنسا وبريطانيا عام 1916م قبل الثورة في روسيا والتي نصت على تقسيم اراضي وممتلكات الدولة العثمانية وما تسيطر عليه من الدول العربية بين كل من فرنسا وبريطانيا وروسيا )، واعلن زعماءها الجدد عن تنازلهم عن المعاهدات الغير متكافئة والامتيازات التي فرضتها روسيا القيصريه على بلدان تلك المناطق (2) .

تأثرت العلاقات بين سوريا والاتحاد السوفيتي في بدايتها بموقف الاتحاد السوفيتي من مشكلة الاسكندرونة ( تقع في الزاوية الشمالية الغربية من سوريا وتعد الميناء لمدينة حلب ) التي اقرت عصبة الامم تسليمها الى تركيا عام 1939م . فقد ايد الاتحاد السوفيتي قرار العصبة بشدة، وذلك لغرض تأمين علاقات جيدة مع تركيا لضمان مرور السفن السوفيتية في البحر الاسود عبر المضائق التركية وهي المنفذ الوحيد للاتحاد السوفيتي الى البحر الابيض المتوسط... الا ان التطورات التي افرزتها الحرب العالمية الثانية والتي شارك فيها الاتحاد السوفيتي الى جانب دول التحالف ادت الى تراجع القوى الداخلية التقليدية ( فرنسا و بريطانيا ) وحصول اغلب الدول العربية على استقرارها ومنها سوريا في عام 1944م (3)، فقد كان الاتحاد السوفيتي من اوائل الدول التي اعترفت باستقلالها، كما اعلن رفضه تفوق نفوذ اي دولة اوربية في سوريا .

كان هدف الاتحاد السوفيتي من ذلك الاعلان هو معارضة سياسة مناطق النفوذ، كما ان سيطرة القوى الاوروبية على سوريا سوف يشكل خطراً على المصالح السوفيتية في المنطقة . كذلك بعث وزير خارجية سوريا في عام 1944م برسالة الى وزير خارجية الاتحاد السوفيتي يقترح فيها اقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين.

دخلت العلاقات السورية السوفيتية عام 1944م مرحلة جديدة عقب اعلان استقلال سوريا وكان الاتحاد السوفيتي اول من صوت لصالح سورية، وخرجت من مفهوم الصداقة الى مرحلة التعاون الاستراتيجي، عندما اصرت موسكو، رغم الرفض البريطاني والدول الغربية الاخرى، على ادراجها ضمن الدول المؤسسة لهيئة الامم المتحدة .

وقد كان موقف الاتحاد السوفيتي من ضرب فرنسا لدمشق والمدن السورية الاخرى بالطائرات في عام 1945م ان بعث برسالة للحكومة الفرنسية احتج فيها على هذا القصف، كما اقترح على الدول الكبرى المتحالفة اتخاذ التدابير اللازمة لوقف العمليات الحربية في سوريا وحل الخلافات بينهما بالطرق السلمية (4). وقد انعكس هذا الموقف بشكل ايجابي على علاقات الاتحاد السوفيتي مع سوريا حيث اعقب ذلك قيامه في 1946م بتأييد مطلب سوري بسحب القوات البريطانية والفرنسية من اراضيها بصفته عضواً دائماً في مجلس الامن.

ارتقت العلاقات بين البلدين الى مستوى التحالف الاستراتيجي بوصول الرئيس السوري الراحل حافظ الاسد الى سدة الحكم في عام 1970م، وقيامه بأول زيارة له بعد تسلمه السلطة كانت الى العاصمة الروسية في 1971/2/1 التي بينت رغبة سوريا بتوثيق العلاقة مع الاتحاد السوفيتي. لاسيما بعد ان توترت العلاقات المصرية – الروسية وطرد الخبراء السوفيت من الجيش المصري، بسبب تقرب السادات من الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية، فوجد السوفيت من العراق وسوريا بديلاً لهم في منطقة الشرق الاوسط بدلاً عن مصر. وقدمت القيادة السوفيتية دعم سياسي وعسكري مشهود لسورية في المحافل الدولية، خاصة ما يتعلق بالصراع العربي – الاسرائيلي، فضلاً عن مساهمتها في بناء البنية التحتية للاقتصاد السوري (5) .

قدم الاتحاد السوفيتي لسوريا دعماً عسكرياً كبيراً لمواجهة (اسرائيل) المدعومة من جانب الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية، وانشأ مركز الدعم المادي التقني للأسطول البحري السوفيتي في ميناء طرطوس السوري، الى جانب تعزيز الروابط الثقافية عن طريق سفارتي البلدين وخصوصاً القنصليات الروسية والمركز الثقافي في مدينة دمشق وجمعية الصداقة السورية الروسية. كما قام الاتحاد السوفيتي بتقديم دعم سياسي كبير لسوريا في المحافل والمنابر الدولية فضلاً عن مساهمته في بناء البنية التحتية للاقتصاد السوري لا سيما في مجالات الطاقة والتعدين والري.

منذ نهاية الخمسينيات وحتى ثمانينيات القرن العشرين، ومن منطلق الحرب الباردة تبنى الاتحاد السوفيتي سياسة قائمة على اساس توازن القوة في منطقة الشرق الاوسط، تمثلت بدعم ومناصرة القضايا العربية ضد الهيمنة الامريكية- الاسرائيلية، ونتيجة لذلك تعمقت العلاقات السوفيتية – السورية الى مستوى الحلف الاستراتيجي واصبح الاتحاد السوفيتي المدافع الرئيسي عن سوريا في المحافل الدولية... ولكن مع وصول ميخائيل غورباتشوف الى السلطة في اواسط ثمانينيات القرن العشرين وتبنيه لسياسة براغماتية قائمة على اساس المصالح، انصب اهتمامه على العامل الاقتصادي بدلاً من العامل العقائدي، مما أثر ذلك على النفوذ السوفيتي في منطقة الشرق الاوسط، خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة وظهور روسيا الاتحادية كدولة ضعيفة مقارنة بالاتحاد السوفيتي، فاعتمدها على المساعدات الاقتصادية من الغرب للتغلب على مشاكلها الاقتصادية الزمها بالتكيف مع المصالح الغربية وتوسيع علاقتها مع (اسرائيل)، الامر الذي دفع سوريا بأبواب سياسة خارجية مستقلة تماشياً مع التغييرات الجديدة للحفاظ على مواقفها الاساسية وتفادي العزلة الدولية بغياب الدولة الداعمة لها (6) .

### ثالثاً: أيام الرئيس بوتين (روسيا الاتحادية)

من الملاحظ ان الدعم الروسي لسوريا توقف في فترة التسعينيات بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ثم استئناف مرة أخرى في عهد الرئيس فلاديمير بوتين وذلك باعادة افتتاح القاعدة البحرية الروسية في ميناء طرطوس وعقد الصفقات العسكرية مع سوريا والتي تشمل خبراء عسكريين واسلحة وتجديد عتاد الجيش السوري من اسلحة حديثة.

تعتبر مبيعات السلاح لسوريا من أهم المصالح الحيوية بين سوريا وروسيا، فقد بلغت مشتريات السلاح من روسيا ما يقارب مليار ومائة مليون دولار وفقاً لإحصائيات عام 2017 ، كما توجد عقود مبرمة بين سوريا والشركات الروسية المتخصصة في صناعة الاسلحة حيث تعتبر سوريا شريكاً أساسياً لروسيا في مجال إستيراد السلاح الروسي، ففي عام 2017 بلغت وارداتها من السلاح حوالي 15%، أيضاً تستورد سوريا من روسيا طائرات (ميغ29) المقاتلة وطائرات التدريب (ياك130) وصواريخ دفاع جو من طراز (بانتسير) و (بوك - م ح) أو ما يعرف بسام 17، إضافة الى دبابات (ت 72) وصواريخ جواله للدفاع البحري من طرز (جوخنت وباستيون)، وتقدر قيمة هذه الصفقات بما يقارب ستة مليارات دولار.

كانت روسيا تتوقع ارتفاع قيمة العقود الجديدة مع سوريا بنسبة تفوق فيها ما خسرت من توقف عقودها مع ليبيا بعد الثورة ، وبالتالي إذا سقط النظام السوري فسوف يشكل خسائر فادحة لها.

وافقت روسيا على بيع أنظمة صواريخ جو دفاعية متقدمة الى سوريا، وتم توقيع اتفاقية بين الطرفين بشطب 73% من صافي ديون سورية والبالغة 13.4 مليار دولار أي شطب 908 مليار دولار من مجمل الديون، إضافة الى ان روسيا الاتحادية وافقت على بيع أنظمة صواريخ جو دفاعية متقدمة الى سورية رغم المعارضة الامريكية الاسرائيلية (7) .

شكلت زيارة الرئيس الروسي دميتري ميدفيديف الى سورية يوم الاثنين الموافق 2010/5/11 الارضية التي مهدت لبناء مستقبلاً للعلاقات الاستراتيجية وعلى المجالات كافة يتجاوز الحدود التقليدية (8)، وهذه الزيارة كانت بمثابة إعلان صريح بأن روسيا الاتحادية ما زالت لاعباً أساسياً في منطقة الشرق الاوسط ولها حلفاء قدامى ستعمل على تعزيز علاقتها معهم بما ينسجم مع مصالح الاطراف كافة، لا سيما وأن سورية اليوم تشغل مكانة وموقعا إقليميين لا يمكن تجاهل اهميتهما في التأثير على حل النزاعات الشرق اوسطية أو تلك التي تشهدها المناطق المجاورة للمنطقة العربية، أي القوقاز.

ومن الملاحظ أن روسيا لديها نقطة ضعف منذ بدايتها كقوة عظمى في القرن الثامن عشر ، وهي عدم قدرتها للوصول الى المياه الدافئة، فكل ممراتها متجمدة (القطب الشمالي وبحر البلطيق) وقد سعت قديماً لمعالجة هذا الاشكال بالصراع مع الدولة العثمانية لتصل الى البحر الاسود وتحل قاعدة إزك العثمانية من ثم أصبح إمكانية الحصول على منفذ بحري أعلى المياه الدافئة أمر بالغ الاهمية لروسيا في تاريخها وحاضرها ومستقبلها.

وفي هذا السياق قامت روسيا بتأجير قاعدة طرطوس البحرية في فترة سبعينات القرن الماضي من الرئيس الراحل حافظ الاسد، بموجب اتفاق بنهما. يلاحظ ان روسيا كان لديها العديد من القواعد البحرية في كل من مصر واثيوبيا وفيتنام، غير أنه لم يبقى منها سوى قاعدة طرطوس ، الامر الذي يضيف عليها أهمية استراتيجية بالنسبة للمراكب البحرية الروسية الموجودة في البحر الابيض المتوسط (9).

## المبحث الثاني \_ طبيعة الأهداف الروسية في الأزمة السورية

اولاً: غموض الموقف الروسي

اتسم الموقف الروسي بالتباين والاختلاف من الاحتجاجات والمظاهرات التي شهدتها الساحة العربية منذ مطلع عام 2011، وفقاً لطبيعة المصالح الاقتصادية والسياسية التي أثرت على قدرة اتخاذ قرارات فاعلة حول تداعيات الحراك الشعبي في ظل المواقف الخارجية للعديد من الدول القوى الإقليمية والدولية التي حاولت إعادة التمرکز واستثمار الفرصة للاستفادة من تلك الأحداث، وثمة صور رمزية غير مفهومة ظهرت في الأداء السياسي الروسي، ففي بادئ الأمر كان الموقف يتصف باللامبالاة في الحالة التونسية ثم تحول الموقف إلى انتظاري في الحالتين المصرية والليبية وصولاً إلى مواقف اتسمت بطابع المواجهة عندما بدء الحراك السوري، فاتخذت روسيا الاتحادية موقفاً تكتيكياً يتسم بالثبات ويراعي المصالح الروسية برفضها استصدار أي قرار يدين النظام السوري، وانتقدت بشدة العقوبات الأوربية الأمريكية أحادية الجانب على النظام السوري، وبررت ذلك بأن النظام السوري بادر فعلاً بالإصلاحات.

كما نفت وجود ثورة شعبية في سوريا وتسوق ما يجري على أنه مواجهة مع مجاميع مسلحة متطرفة مدفوعة من الخارج.

ثانياً: المكانة الدولية لروسيا الاتحادية والحسابات الجيوسياسية

إن ما تمتلكه روسيا من مقومات اقتصادية وقوة عسكرية ومقدرات بشرية هائلة، وتأثيراتها الثقافية والسياسية على العالم، كل هذه الأمور تمكنها بأن تكون محور تأثير على عدد من دول العالم وامتلاك مكانة إقليمية ودولية في رسم السياسات الدولية الخارجية، وأن تكون إحدى الدول الفاعلة في النظام الدولي الراهن، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ورثت روسيا الاتحادية مشاكل داخلية جمة كرسست من أجلها كل الجهود لترميم الأوضاع الاقتصادية والسياسية الداخلية التي مرت بها والتي أطلقت عليها مرحلة الانكفاء الداخلي، ولكن استقر الوضع السياسي والاقتصادي الداخلي في روسيا بحلول أواسط العقد الأول من القرن الحادي والعشرين جددت طموحاتها الخارجية وأدركت حاجتها إلى اتباع سياسة خارجية

جديدة في ظل المتغيرات الحاصلة في النظام الدولي ضرورة الاهتمام بالمصالح الاقتصادية أثناء سعيها لتحقيق أهدافها في تولى دور عالمي من خلال استذكارها للمكانة الجيوسياسية السابقة فلم تعد تلك الدولة العظمى المنافسة للولايات المتحدة ، وتتطلق السياسة الخارجية الروسية من أن العالم يعيش منذ انهيار الاتحاد السوفيتي فترة انتقالية صعبة مليئة بالمعضلات تتمثل بوجود نظام احادي يحكم العالم، لأنها تؤمن بإمكانية تجاوز ذلك أخذت بنظر الاعتبار القدرات الذهنية الرفيعة التي يتمتع بها شعبها، ولعل أكبر المعضلات هي أزمة النظام العالمي في حقبة ما بعد الحرب الباردة هي حالة الانكماش الجيوسياسي لروسيا خلال العقدين الأخيرين جعلها محاصرة من جميع الجهات بأزمات عالمية.

ارتأت القيادة الروسية إثبات الذات والمحافظة على مصالحها من خلال تحقيق التكامل مع الغرب بحيث تشارك موسكو في قيادة العالم جنبا إلى جنب مع الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بدلا من التنافس على مناطق النفوذ، ففي الأعوام الأخيرة سوقت روسيا سياساتها الشرق أوسطية بأنها عودة إلى المنطقة ويرى الكرملين في الشرق الأوسط حيث يمكنه استخدام مجموعة متنوعة من الأدوات للتأثير في التطورات الإقليمية، وتهدف السياسات الروسية إلى خلق توازنات سياسية تقابل السياسة التي ينتهجها حلف شمال الأطلسي في أوروبا حيال روسيا.

جعلت الانتقادات الداخلية من قبل بعض كبار الساسة الروس الموقف الروسي أكثر تشددا تجاه الملف السوري نتيجة الموقف السلبي من الملف الليبي وعدم استخدام الفيتو في تعطيل القرار رقم 1973 (10).

ان استخدام الفيتو الروسي بوجه المشروع الأمريكي الأوربي لإدانة النظام السوري في مجلس الأمن ورفض أي عقوبة أممية، كان موقفا واضحا بأنها تعارض تحويل مجلس الأمن إلى حلبة لممارسة الهيمنة الدولية وعودة لفاعليتها على الساحة الدولية، وكان هناك تأكيد دائم من قبل الجانب الروسي برفض التدخل الخارجي في تغيير مسار الأحداث في روسيا، وهي السياسة التي انتهجتها روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي حيث اعتمدت مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية والعمل على تحقيق المصالح من خلال توثيق العلاقات مع الدول والابتعاد عن مفهوم الهيمنة أو التدخل المباشر.

وقد أخطأت دول عديدة في فهم الموقف الروسي وتقدير مدها وهو ما دعا هنري كسنجر للسخرية من محاولات دول خليجية إغراء روسيا بمزايا مالية لتغيير موقفها من الأحداث في سوريا معتبرا ان ما يحدث هو حرب عالمية يرتبط بنتائجها مصير دور روسيا كدولة عظمى (11)، وهو ما أكدته بوتين عندما أكد أن الموقف الروسي لن يتغير من الأزمة السورية تحت أي ظرف، وأن الموقف الروسي من الأزمة السورية هو إشارة إلى بدء سياسة دولية جديدة مبنية على أساس تحقيق التوازن مع الغرب والمشاركة بدلا من الهيمنة والسيطرة التي يسير عليها العالم اليوم.

إن ما تسعى إليه روسيا الاتحادية اليوم ليس التنافس والهيمنة مع الولايات المتحدة الأمريكية (القطب الأوحده) والعودة إلى خوض غمار الحرب الباردة التي فشلت بها وأدت إلى انهيار الاتحاد السوفيتي، بل إنها تبحث عن بناء دولة قوية لها ثقلها الإقليمي والدولي وتبوء مكانتها الدولية التي تسحقها في المحافل الدولية، والمساهمة في بناء نظام دولي متعدد الأقطاب قائمة على أساس تطوير العلاقات مع الدول وعدم التدخل المباشر في شؤونها الداخلية شكلت الأزمة السورية بداية لهذه المرحلة من خلال التقارب الروسي الصيني.

ثالثا: المحافظة على المصالح في سوريا

احتلت سوريا مكانة ثابتة في الشرق الأوسط كعنصر مؤثر في إدارة الصراع داخل حدود الإقليم، وانعكس ذلك على علاقاتها مع الدول الكبرى التي ترتبط بمصالح وعلاقات استراتيجية في المنطقة، استطاعت روسيا الاتحادية تطوير علاقاتها مع سوريا خلال العقد المنصرم من خلال قطاعات الطاقة والتعاون العسكري والتقني، ولا زالت تستخدم الصناعة العسكرية كمدخل أساسي للنفوذ في سورية.

وقد قدر معهد ستوكهولم الدولي لبحوث السلام المبيعات الروسية للسلاح للجانب السوري بـ162 مليون دولار سنويا في 2009 و2010، وتستفيد أيضا من التسهيلات البحرية التي تم استئجارها في ميناء طرطوس السوري وهو المدخل المباشر الوحيد الموجود تحت تصرفها لذا تعتبر الأزمة السورية مدخلا روسيا للتأثير وممارسة النفوذ في مناطق كانت في الحرب الباردة مجالا للصراع بين القطبين وغدت بعدت انهيار الاتحاد السوفيتي مجالا تتصرف فيه الولايات المتحدة بحرية أكبر(12).

إن القضية الأهم من الممرات المائية في البحر المتوسط بالنسبة إلى روسيا هو عدم تكرار المشهد الليبي، وتعتقد أن الدول الغربية والولايات المتحدة استخدمت قرارا غامضا من الأمم المتحدة لاستخدام القوة العسكرية للإطالة بالنظام وتعزيز مصالحها في المنطقة وهو الخطر الأكبر، فكان حق النقض في مجلس الأمن لمنع احتمال انهيار النظام في المنطقة بأسرها والعمل من أجل التوصل إلى حل سياسي لصراعات سوريا الداخلية.

ويجب الإشارة أيضا إلى العلاقات الروسية الإيرانية التي لعبت دورا كبيرا في تحديد الموقف الروسي من الأزمة السورية، إذ تمثل إيران أهمية بالغة بالنسبة لروسيا ومن عدة نواح منها حماية البوابة الجنوبية لروسيا، وعلاقاتها التجارية والاقتصادية. إضافة إلى جهود تبذلها القوى الغربية من جهود لإضعاف إيران ولإبعاد سورية عن حلفها معها يشكل تهديدا لمصالحها الاستراتيجية في الشرق الأوسط، إذ ينظر إلى محور إيران - سورية على أنه عامل مهم في إرساء ثقل موازن في مقابل الحلفاء الإقليميين للولايات المتحدة.

والسبب الذي يقف وراء مرآة روسيا على بقاء النظام الحاكم في سورية هو أن عملية التغيير ستكون مكلفة وصعبة بالنسبة إلى حجم مصالحها، خصوصا أن روسيا تدير جزءا من سياستها الخارجية في الشرق الأوسط من خلال علاقتها المتطورة مع النظام السوري في السنوات الأخيرة، إذ خسرت روسيا الاتحادية مليارات الدولارات بسبب الاحتجاجات التي شهدتها الساحة العربية وما رافقها من تغيير الأنظمة الحاكمة وخاصة في مصر وليبيا، فهي تسعى إلى عدم تكرار المشهد في سورية؛ لأنها من المحتمل أن تخسر قيمة العقود العسكرية المبرمة مع النظام السوري أضف إلى ذلك شطب ديون بقيمة أربعة مليارات من ديون سورية مستحقة للاتحاد السوفيتي سابقا واستبدالها بتنفيذ مشاريع اقتصادية في سوريا.

رابعا – الموقف الروسي من الربيع العربي

يأتي تأثير الربيع العربي على التدخل الروسي من خلال ما بينه استطلاع للرأي العام في آذار 2011 بأن 49% من الروس أعربوا عن استعدادهم للخروج إلى الشارع للاحتجاج ضد السلطات الرسمية المنتهكة للسلطة من قبل مجموعة صغيرة من الأفراد وعلى رأسهم فلاديمير بوتين، وبالفعل فقد تظاهر المئات في روسيا متأثرين بالثورات العربية مطالبين بتغيير الحكومة بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية والسياسية، وقد أبدى الرئيس الروسي ميديفيد قلفه من هذا التأثير بقوله "إن سلسلة الأحداث التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط سيكون لها تأثير مباشر على الوضع في روسيا، إضافة إلى طبيعة الوضع الداخلي لعدد من الأقاليم الروسية والتي تشهد حالة من عدم الاستقرار ولمدة زمنية ليست بالقليلة واعتماد روسيا لوسائل مختلفة لإعادة حالة الاستقرار منها استعمال القوة، جعل من الصعب انتقاد النظام السوري الذي ينتهج الأسلوب نفسه.

### المبحث الثالث: الأدوات الروسية في إدارة الأزمة السورية

لقد غدت الأزمة السورية واحدة من الأزمات التي مثلت اختبارا للسياسة الروسية الجديدة، خاصة اثر حالة الفوضى التي ضربت النظام الدولي نتيجة سيادة وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية عليه.

لا شك أن موسكو اعتبرت سوريا ساحة مهمة لاختبار الطموح الروسي من خلال استخدام الأدوات التالية (13):

1. اتخاذ روسيا منذ اندلاع الأزمة في سوريا موقفا سياسيا قاطعا برفض تغيير النظام في سوريا أو السماح بتدخل إقليمي أو دولي يسهم في هذا التغيير.

2. اتخذت موسكو على عاتقها تقديم دعم كبير للنظام شمل تزويده بالدعم المادي والعسكري والسياسي والدبلوماسي، وذلك لتعزيز قدرته على مواجهة الأزمة واتخذ هذا الدعم الصورة العلنية بما يحمله ذلك من دلالات معلنة بوجه كل القوى الدولية والإقليمية.

3. وفرت روسيا حماية دولية تمثلت بحماية النظام السوري من أي محاولات أمريكية لفرض عقوبات دولية عليه.

وقد بدا هذا الأمر من خلال الاستخدام المكثف الروسي لحق الفيتو في مجلس الأمن فيما يخص الأزمة السورية، بل والإصرار على عدم طرح أي مشروع بيان يهدد حليفها في سوريا.

وبفضل هذا الدعم المتواصل نجحت روسيا في حماية النظام السوري من السقوط، بل وحتى الإدانة الدولية أدى إلى اتساع التحرك الروسي تجاه سوريا استكمالاً للمعركة الحقيقية بينه وبين الإدارة الأمريكية في ساحات أخرى.

فمقاومة سوريا للضغوط الأمريكية تقوم على العمل على تفكيك آثار العزلة عبر بناء شبكة من العلاقات الإقليمية والدولية لتؤمن لها حرية الحركة بعيدا عن مسار السياسة الأمريكية والغربية، لذا كان التوجه إلى روسيا أحد أهم محاور السياسة الخارجية السورية.

لقد سعى الرئيس بوتين إلى محاولة استعادة مكانة روسيا العالمية بعد سنوات من العجز بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وبعد أن تمكن من تحقيق الاستقرار الداخلي حيث بدأت روسيا رويدا رويدا استعادة نفوذها في منطقة الشرق الأوسط، علاوة على ما كانت تدعيه روسيا من تزايد الضغوط والمخاطر الاستراتيجية الناتجة عن توسع الناتو شرقا في مناطق النفوذ السابقة للاتحاد السوفيتي بالإضافة إلى مشروع الدرع الصاروخي الذي يمثل (حسب رؤية بوتين) أحد هواجس الأمن القومي الروسي (14).

لقد عكست المواقف الدولية على واقع الانتفاضة الشعبية حالة التنافس الدولي على سوريا، فروسيا تراهن على بقاء النظام لأن عملية التغيير في سوريا مضرّة بمخططاتها للنفوذ في الشرق الأوسط حيث تمثل خسارتها لسوريا خسارة لآخر أقوى معانها في الشرق الأوسط، لأن روسيا تعتقد أن التدخلات الأمريكية الغربية منذ انتهاء الحرب الباردة في البلقان وأفغانستان والعراق وليبيا مثلت تهديدا لكل طموحات موسكو بالارتقاء والعودة لمسار الدولة العظمى، لهذا تصر على عدم السماح بالتدخل الدولي في سوريا وتبدو كأنها بصدد إحداث تغيير قسري في طريقة تعاطي النظام الدولي مع الأزمات والصراعات لا سيما تلك التي لها صلة مباشرة بها.



وبناءً على تلك الركائز والعلاقات المتطورة بين روسيا والنظام السوري أصبح من الصعب جدا على روسيا القبول بتغيير سياسي في سوريا من دون أن تكون لها اليد الطولى فيه ويحرمها من طموحاتها السياسية والعسكرية، وهذا بدا بوضوح في موقف روسيا من تطورات الأزمة في سوريا منذ بدايتها في آذار 2011.

لقد استفادت سوريا ومعها نظام بشار الأسد بصورة رئيسية من تزايد حدة الصراع العسكري في روسيا ودخول جماعات متطرفة على خط الصراع أهمها تنظيم (داعش) الذي أعلن دولته على مساحات جغرافية متسعة من سوريا والعراق وتراجع قوة المعارضة المعتدلة. الأمر الذي أسهم في خلط أوراق الأزمة، وبدأت مراجعات مهمة غربية وأمريكية فيما يخص طريقة التعامل مع الأزمة، وبدت أن هناك أولوية موحدة لكل الأطراف لمواجهة التطرف الذي يتمدد ويكتسب جغرافية وأنصارا، وبدأ يمثل تهديدا للاستقرار ليس داخل سوريا والعراق فحسب في المنطقة والعالم برمته.

لقد أصبح واضحا للعيان الدور المهم لروسيا والذي تمكنت بموجبه من نقل النقاش حول النظام الجديد في سوريا إلى نقاش حول حدود دور الأسد في المرحلة الانتقالية، ونتيجة إصرار أطراف الصراع على رهاناتهم الصفرية في مسألة بقاء الأسد أو رحيله اتجه الصراع في الداخل نحو التصاعد لتحقيق مكاسب فعلية في الأرض وخصوصا بعد التدخل الروسي في المعارك (15).

من هنا استطاعت روسيا أن تفرض وجهة نظرها في سوريا على المجتمع الدولي، عبر تكتيكات مختلفة سببها إصرارها من جهة والانسحاب الأمريكي من جهة ثانية.

لذا يمكننا القول إن هذه العوامل هي التي دفعت بروسيا الاتحادية إلى انتهاج سياسة دولية جديدة على نقيض الدول الغربية الأخرى التي تحاول التدخل المباشر بالشأن السوري، بما لا يخدم المصالح الروسية في هذه المنطقة الحيوية، وبخاصة بعد أن خرجت من المشاكل الداخلية التي عصفت بها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفرد القطب الأوحدي في قيادة النظام الدولي بأسره، ورأت روسيا الاتحادية بأن الأزمة السورية هي البداية لإعلان سياستها الدولية الجديدة بحكم العلاقات الاستراتيجية التي تربط بلدين.

### الخاتمة

مما تقدم يمكن فهم طبيعة الموقف الروسي من الأزمة السورية وذلك لعمق العلاقات الاستراتيجية التي تربط البلدين على عدة أصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية مما أدى إلى تبني روسيا الاتحادية موقفها الراض للتدخل المباشر في الشأن الداخلي السوري، وتشجيع الحل السلمي للأزمة عن طريق المفاوضات، وهذا يمثل إعلانا عن سياستها الجديدة التي فتحت لها بوابة العودة إلى الساحة الدولية بعد أن تخطت أزماتها الداخلية.

لقد توصلنا من خلال هذا البحث إلى أهم الاستنتاجات التالية:

1. تسعى روسيا من وراء الأزمة إلى إعادة وضعية القطبية الثنائية للنظام الدولي بعدما انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالساحة الدولية عقب انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور ما يعرف بالاحادية القطبية، وبالتالي فإن روسيا تسعى لإعادة دورها على الساحة الدولية كقوة فاعلة وخاصة أن الولايات المتحدة ومنذ سقوط الاتحاد السوفيتي تسعى لمحاصرة روسيا سياسيا واستراتيجيا لمنع قيامها كقوى فاعلة مرة أخرى ويظهر ذلك بشكل واضح من خلال محاولة حلف الناتو ضم معظم دول شرق أوروبا، وسعي الولايات المتحدة الأمريكية لنشر نظم الدفاع الصاروخي لتطويق روسيا.
2. تسعى روسيا من خلال تدخلها في الأزمة السورية بمساندتها لنظام الأسد وحمائته بشتى الطرق استنادا على العلاقات السياسية، الاقتصادية، العسكرية، القائمة بين البلدين والمصالح الروسية في سوريا والتي ترجع إلى فترات تاريخية طويلة، فضلا عن استخدامها لحق الاعتراض في مجلس الأمن ضد كل مشروعات القرارات لأدائه النظام السوري واتخاذ إجراءات رادعة ضده.
3. الرغبة الروسية في العودة على الساحة الدولية وتعزيز دورها كقوة دولية فاعلة؛ حيث ترغب روسيا في تعزيز دورها ومكانتها على المستوى الدولي والإقليمي في منطقة الشرق وإثبات دورها المؤثر في القضايا الدولية والإقليمية الهامة؛ وخاصة منطقة الشرق الأوسط وتعتبر الأزمة السورية فرصة سانحة لها؛ من خلال قدرتها على تشكيل وتكوين تحالفات إقليمية على غرار ما فعلته الولايات المتحدة والغرب، وقد تأكد هذا الدور عقب ضم شبه جزيرة القرم الأوكرانية ولم يستطع الغرب اتخاذ موقف ضدها.
4. الحفاظ على المصالح الروسية في سوريا حيث تسعى للحفاظ على تواجدتها في نافذة تطل على المياه الدافئة، إذ يوجد لها قاعدة عسكرية بحرية في ميناء طرطوس في سوريا - وهي القاعدة العسكرية الوحيدة لها في منطقة الشرق الأوسط، كما تسعى روبا لبناء قاعدة عسكرية جوية لها في غرب سوريا باللاذقية.

• استاذ مساعد في كلية العلوم السياسية/جامعة النهدين

1. أديب صلح، العلاقات السورية السوفيتية 1946 – 1967م، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2012م، ص24.
  2. عبد الجليل محمود، تاريخ العلاقات الروسية السورية، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 2105، ص32.
  3. خالد حسين، الشرق الأوسط ما بعد الحرب العالمية الثانية، مركز الدراسات الدولية، القاهرة، 2017، ص66.
  4. المصدر نفسه، ص72.
  5. سليمان حسن، العلاقات السورية الروسية، بيروت، الدار العربية للعلوم والنشر، 2014، ص49.
  6. عبد الجليل محمود، المصدر سبق ذكره، ص73.
  7. جاسم أمين، الأزمة السورية، دار النور للتوزيع والنشر، عمان، 2015، ص78.
  8. أديب صالح، مصدر سبق ذكره، ص77.
  9. نزار عبد القادر، روسيا والأزمة السورية، مجلة الدفاع الوطني، بيروت، 2017، ص17.
  10. المصدر نفسه، ص22.
  11. محمود حمدي أبو القاسم، أبعاد التدخل العسكري في سوريا، المركز العربي للبحوث والدراسات، الدوحة، 2015، ص19.
  12. ممدوح عبد المنعم، روسيا والعودة إلى القمة، مركز الفنون للتوزيع والنشر، 2016، ص69.
  13. نزار عبد القادر، مصدر سبق ذكره، ص25.
  14. محمد حمري، مصدر سبق ذكره، ص39.
  15. وليد عبد الحي، محددات السياستين الروسية والصينية تجاه الأزمة السورية، مركز الجزيرة للدراسات، 2017، ص55.
- المصدر نفسه، ص71

**Corresponding Author: D. Nadia Zikra**

**Email ID: [nadiashkara@gmail.com](mailto:nadiashkara@gmail.com)**

Received: 2019-04-14

Accepted 2019-05-09

Publish Online 2019-05-13

